مقياس: تعليمية التاريخ / طرائق التدريس

المستوى: السنة الثالثة تاريخ عام

المحاضرة السادسة: طرائق ومقاربات تدريس التاريخ

مقدمة

تُعدّ مادة التاريخ من الركائز الأساسية في المنظومة التربوية، لما تضطلع به من دور محوري في بناء وعي المتعلّم بذاته ومجتمعه، وفي تنمية قدرته على فهم التحوّلات التاريخية واستيعاب دلالاتها، غير أنّ طرائق تدريسه ظلّت في كثير من الأحيان رهينة المقاربة السردية التي تركز على نقل الأحداث والوقائع، الأمر الذي حدّ من فاعليته في تحقيق الأهداف التربوية العميقة.

ومع التحوّلات التي شهدها الفكر التربوي خلال القرن العشرين، برزت اتجاهات حديثة دعت إلى تجاوز أساليب التلقين، واعتماد مقاربات تعليمية جديدة تُعنى بتنمية الكفايات والمهارات، وفي مقدّمتها مهارات التفكير النقدي والتحليل التاريخي.

وانطلاقًا من هذه المعطيات، تسعى هذه المحاضرة إلى معالجة إشكالية جوهرية مفادها: ما المقاربة التعليمية الأنسب لتدريس التاريخ بما يحقّق أهدافه التربوية؟ وإلى أي مدى يمكن للمقاربة بالكفايات أن تسهم في تجاوز محدودية المقاربة السردية؟ وما هي المهارات الأساسية التي ينبغي تنميتها لدى المتعلّم في هذا الإطار؟

1. أهمية تعليم التاريخ

قدم ابن خلدون لدراسة التاريخ بقوله: " اعلم أنَّ فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا..." (خلدون، 1984، صفحة 37)، يبرز ابن خلدون من خلال تعريفه لعلم التاريخ طابعه المركب، باعتباره علمًا يجمع بين المعرفة والعبرة، وهو ما يمنحه وظيفة تربوية تتجاوز مجرد نقل الوقائع إلى تنمية الوعي التاريخي لدى المتعلم، من خلال تنمية حسه النقدي، وتعزيز انتمائه الحضاري، وترسيخ القيم الوطنية في إطار فهم موضوعي للماضي.

لكن تحقيق الأهداف من تدريس التاريخ يقتضي توظيف مقاربات تعليمية سليمة، والاستفادة من كفاءات علمية متخصصة، مدعمة بالوسائل والأدوات التعليمية والتكنولوجية الضرورية، لتعليم التاريخ بطرق ووسائل عصرية، جذابة وفعّالة لدراسة الوثائق والنصوص وتنمية مهارات التعلم.

وقد سلكت عملية التعليم والتعلّم عبر التاريخ مسارًا تطوريًّا، فانتقلت من التعلّم القائم على أساس المبادرة والجهود الفردية للمتعلّمين الراغبين بتحصيل العلم والباحثين عن المعرفة، إلى مرحلة التّعليم والتعلّم الشامل الذي تنظّمه الدولة من خلال تطبيق المناهج الدراسية، التي تشرف عليها المؤسسات التعليمية، والتي يديرها المعلّم ويعرض نشاطاتها "بشكل إرادي وهادف على المتعلّمين، من أجل أن يكتسبوا عبرها قدرات عقلية ومهارات حركيّة ومواقف واتجاهات عاطفية واجتماعيّة أي التعلّم" (عواضة، 2010، صفحة 17)

2. المناهج التعليمية، غاياتها وأهدافها

2-1 - المفهوم والأهمية: المناهج التعليمية هي **مجموعة الخبرات التربوية المنظمة** التي تهيئها المؤسسة التعليمية للمتعلمين، بهدف تحقيق نمو شامل في معارفهم ومهاراتهم وقيمهم، داخل المدرسة وخارجها، والمنهج التعليمي بالمفهوم الحديث يشمل الأهداف، المحتوى، طرائق التدريس، الوسائل التعليمية، وأساليب التقويم (برناوي، 2021، الصفحات 234- 235).

وتكمن أهمية المنهاج في كونه ينظم العملية التعليمية، ويوجه عمل المعلم(الأستاذ)، ويساعد على تحقيق أهداف التعليم، كما يتميز بالشمولية من الناحية المعرفية والمهارية والوجدانية، قابل للتعديل مرتبط بواقع المتعلم، يراعي الفروق الفردية، يساعد على التفاعل والنشاط (برناوي، 2021، صفحة 231).

2-2- الغايات والأهداف التربوية:

_ **الغايات التربوية** في الأساس أهداف عامة بعيدة المدى، تضعها السلطة السياسية الحاكمة بهدف الوصول إلى تكوين مواطن بموصفات تأملها، وتحقيق هذه الغاية يكون من خلال نظام تعليمي متكامل في مختلف مواده، وهنا تبرز أهمية تدريس التاريخ كعامل مؤثر بشكل فعاّل في بناء شخصية المُتعلِم، وهذا يستوجب التزام أعلى معايير الوضوح والدّقة لوضع الأهداف وصياغتها.

_ **الأهداف التعليمية والتربوية** توضع من جهات مختصة حسب المواد التعليمية(مثال: مادة التاريخ)، وهي تمثل "مجموع القدرات والمهارات والمواقف والقيم التي تنميها عمليات تعليم وتعلّم المادّة لدى المتعلّمين على المدى الطويل" (عواضة، 2010، صفحة 260)، وعلى هذا الأساس يكون لكل مادّة تعليميّة أهدافها العامّة التي يحتاج تحقّقها إلى مدى زمني طويل، ويؤدّي تحقّق الأهداف العامّة للمواد مجتمعة إلى تحقّق الغايات التربوية (بدران، 2023، صفحة 6).

ثم تأتي مرحلة **الكفايات أو الكفاءات** التي تتحقق من خلال عدد من الحصص التعليمية، مما يؤدي إلى تحسين كفاءة المتعلم في فهم محيطه الاجتماعي وتدبير شؤون حياته، فيستخلص العبر من الدروس التاريخية، ويقترح الحلول للإشكاليات التي تواجه المجتمع، مستفيداً من خبراته التعليمية.

وعن الكفاية (الكفاءة) يتفرع **الهدف التعليمي الخاص**، والذي يعني اكتساب قدرة عقلية أو مهارة حركية أو موقف عاطفي يعمل المعلّم على إكسابه للمتعلّم في حصة أو بعض حصص (عواضة، 2010، صفحة 263)، ويستهدف هذا المستوى تنمية قدرات التذكّر والفهم والتطبيق والتحليل والتقويم، والهدف يجب أن يصاغ بشكل واضح وسليم ودقيق، مما يسمح بإمكانية تحقيقه وقياسه.

3. طرائق ومقاربات تدريس مادّة التاريخ

3-1 - طرائق التدريس

طريقة التدريس هي مجموعة من الإجراءات والخطوات المنظمة، التي يعتمدها المدرس(المعلم) لنقل المعارف والمهارات والقيم إلى المتعلمين، بما يحقق أهداف التعليم (الحيلة ت.، 2009، صفحة 24)، ومعرفة المعلم بطرائق التدريس واستراتيجيات التعليم المتنوعة تساعده على تقديم المادة

التعليمية بشكل ممتع ومناسب لقدرات الطلبة، وذات صلة بحياتهم اليومية ميولهم الشخصية، وتطلعاتهم المستقبلية (الحيلة ت.، 2009، صفحة 24).

إن استخدام طرق التدريس المناسبة هو الوسيلة التي تساعد على تحسين نوعية التعليم وتحقيق أهدافه على جميع المستويات بكل سهولة ويسر، وتتميز طرق التدريس بأنها متعددة، وبإمكان المدرس أن ينتقي منها ما يناسبه حسب الوضعية التعليمية، أو أن يدمج بين عدة طرق لتحقيق أهداف التعليم، ومن بين هذه الطرق نذكر- على سبيل المثال لا الحصر- طريقة التلقين، الطريقة البنائية، الطريقة الحوارية(المناقشة)، طريقة حلّ المشكلات، الطريقة الإستقرائية، طريقة التعلم بالوثائق، وطريقة التعلم التعاوني وغيرها.

- **طريقة التلقين(طريقة المحاضرة)**

طريقة التلقين هي أسلوب تعليمي يعتمد على نقل المعلومات الجاهزة من الأستاذ إلى التلميذ(المتعلم)، يكون فيها دور الأستاذ محورياً في العملية التعليمية، يقوم الأستاذ بتلقين التلاميذ المعلومات ثم يشرحها وأحياناً يطرح بعض الأسئلة للتأكد من مستوى استيعابهم للمادة العلمية، وقد تشبه طريقة التلقين بعض طرق التدريس منها طريقة المحاضرة، التي تعتمد بدورها على الإلقاء عن طريق عرض المعرفة بشكل منظم وممنهج من طرف الأستاذ، بهدف شرح وتحليل موضوع معين، وغالبا ما تطبق هذه الطريقة في المرحلة الجامعية، لكنها تعتمد أسلوب التلقين في معظم مراحلها.

وغم بعض إيجابيات طريقة التلقين إلاَّ أنها تعرضت إلى عدة انتقادات كونها تجعل من الأستاذ مسيطراً بشكل مفرط على الدرس، وتجعل من التلميذ سلبياً في عملية التعلم، يكتفي بالاستماع ويعتمد على الحفظ، كما أنها لا تنمي قدرات التفكير النقدي ولا تراعي الفروق الفردية في العملية التعليمية ولا تساعد التلميذ على اكتساب مهارات البحث وحل المشكلات، تجعل منه يشعر بالملل والجمود وغيرها من السلبيات، وهذا ما دفع المهتمين بالتعليم إلى التفكير في طرائق بديلة من بينها الطريقة البنائية.

- **الطريقة البنائية**

البنائية نظرية في التعلم ونمو الطفل وتعرف بنظرية الذكاءات المتعددة (Multiple Intelligence) وضعها عالم النفس هاورد غاردنز عام 1983، وتعتبر من النظريات المفيدة في أساليب التعليم والتدريس، لأنها تكشف مواطن القوة والضعف عند المتعلم (شرف، 2022، صفحة 43)، وتقوم هذه النظرية على أساس تصور تربوي يرى أن المتعلم (التلميذ) لا يستقبل المعرفة بشكل جاهز ، وإنما يبنيها بنفسه من خلال التفاعل مع محيطه وبالاستفادة من خبراته السابقة وهذا ما يصطلح عليه بالتعليم النشط وهو تعلم قائم على المشاركة والفعل.

في ضوء الطريقة البنائية لا تقدم مادة التاريخ كمعرفة جاهزة وإنما تبنى بواسطة تحليل الوثائق التاريخية، طرح الإشكاليات، الحوار ، المناقشة، العمل الجماعي، والربط بين الماضي والحاضر. تساعد الطريقة البنائية في التدريس التلميذ على تعزيز الثقة بالنفس وتقدير الذات، كما تسعد على اكتساب العلوم والمعارف والمهارات التي تنمي قدرات التفكير النقدي والتحليل العلمي (شرف، 2022، صفحة 48).

وخلاصة القول فإن تعدد نظريات طرق التدريس ما هو إلاّ دليل على أهمية ميدان التعليم في حياة الفرد والمجتمع، كما أنّ تعدد هذه الطرق يدل على سعي المهتمين بالشأن التربوي من أجل تحسين العملية التعليمية التعلمية، ولبلوغ هذه الغاية يلجأ المدرسون إلى تنويع طرق التدريس حسب المادة العلمية المدروسة والأهداف المنشودة.

3-2 - ومقاربات تدريس مادّة التاريخ

المقاربات البيداغوجية التعلمية، هي مجموعة من المبادئ والتصوّرات التربوية التي تحدّد كيفية بناء المعرفة، وتنظيم التفاعل داخل القسم، واختيار الطرائق التي تساعد المتعلّم على اكتساب المعارف والمهارات والقيم. ومن أهم المقاربات البيداغوجية التعليمية المعتمدة في الجامعات والمدارس العربية المقاربة التلقينية (تقليدية)، المقاربة بالأهداف، والمقاربة بالكفاءات (الكفايات).

فالمقاربة التلقينية يكون فيها المعلم(الأستاذ) محور العملية التعليمية، وتعتمد على الحفظ والاستظهار، والمقاربة بالأهداف تعتمد على تحديد نتائج التعلم المتوقعة مسبقاً، ثم يقوم الأستاذ بتنظيم المحتوى والأنشطة ووسائل التقويم وفق ما يحقق هذه الأهداف، أما المقاربة بالكفاءات أو الكفايات (competency-based approach) فتركز على المعرفة بالحياة الاجتماعية والمهنية وتنمية القدرة على الفعل لدى المتعلم.

- **المقاربة بالكفايات (الكفاءات)**

_ مفهوم الكفاية لغة: ورد في القاموس المحيط أنه: كفاه مؤونته، يكفيه كفاية، وكفاك الشيء، واكتفيت به، واستكفيته الشيْ فكفانيه، ورجل كافٍ، وكفء (أبادي، 2006، صفحة 1335)

_ مفهوم الكفاية اصطلاحاً: المقاربة بالكفايات (الكفاءات) تصور بيداغوجي حديث في مجال علوم التربية والتعليم، يقوم على أساس تمكين المتعلم من توظيف قدراته المعرفية والمهارية والوجدانية بفاعلية لمواجهة وضعيات ومشكلات متنوعة (عمارة، 2016، صفحة 147).

وأساس مقاربة التدريس بالكفايات هو أن نجعل من المتعلم قادراً على توظيف مكتسباته المختلفة في حلّ الإشكالات التي تواجهه في حياته العلمية والاجتماعية، بدلاً من الاكتفاء بحفظ المعلومات والمعارف دون توظيفها.

- **أسس المقاربة بالكفايات(الكفاءات)**

تقوم المقاربة بالكفايات في التعليم على الأسس التالية:

_ المتعلم محور العملية التعلمية: حيث ينتقل الدور الأساسي في العملية التعليمية التعلّمية من المعلم إلى المتعلِم، هذا الأخير يصبح فاعلاً في البحث والاستكشاف.

_ التركيز على اكتساب الكفاءات: كأن يكتسب المتعلم القدرة على انتقاء المعارف المناسبة للموقف الذي يواجهه، القدرة على الربط بين المعلومات، اكتساب مهارات التفكير النقدي، القدرة على التحليل، المقارنة والاستنتاج. القدرة على اتخاذ القرارات المناسب.

وتوضيح ذلك في مجال دراسة التاريخ، أن يصبح المتعلِم (التلميذ) قادراً على تحليل أسباب الأحداث التاريخية، المقارنة بين الأحداث المتشابة، تفسير الأحداث وتأثيراتها، قادراً على توظيف الوثائق

التاريخية وتحليلها، هذه الكفاءات تمنح المتعلم القدرة على االستمرارية في التعلم واستثمار المعرفة (عمارة، 2016، الصفحات 152- 153).

_التعلم بواسطة الوضعيات المشكلة: الوضعية المشكلة هي إ3طار الذي يتم ضمنه، ومن خلاله ممارسة أنشطة التعلم، التي تنطلق من وضعية حقيقية أو شبه حقيقية، تثير التفكير وتدفع المتعلم إلى البحث عن الحلول، من خلال تعبئة معارفه ومهاراته المختلفة، من خلال هذا النشاط يكتسب المتعلم مهارات البحث والتفكير العلمي المنظم (عمارة، 2016، صفحة 149).

ومن خصائص التدريس بالكفاءات أنها تطور طبيعي لمقاربة التدريس بالأهداف، تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، تعتمد على التعليم النشط، التقويم المستمر لتحسين التعليم، وتسعى لربط التعليم بالحياة الاجتماعية للمتعلم.

خاتمة

خلال ما تم تناوله يتبيّن أن تدريس التاريخ لم يعد مجرد عملية نقلٍ للوقائع والأحداث، بل أصبح ممارسة تربوية هادفة تسعى إلى بناء وعي نقدي لدى المتعلم، يمكنه من فهم الماضي واستيعاب دلالاته في علاقته بالحاضر والمستقبل.

وعليه، فإن تطوير تعليم التاريخ يظل رهيناً بقدرة الأستاذ على الموازنة بين البعد المعرفي للمادة وبين البعد التكويني للكفايات، بما يضمن تحقيق أهداف تعليمية تتجاوز التلقين نحو بناء متعلم واعٍ، ناقد، وقادر على الفهم والتفسير واتخاذ المواقف.

سؤال مناسب للمناقشة:

إلى أي حد يمكن للمقاربة بالكفايات أن تحقق فعلاً تجاوزاً لحدود المقاربة التلقينية في تدريس التاريخ، دون أن تفقد المادة طابعها المعرفي والسردي الأساسي؟